

من التطوع إلى المواطنة الفاعلة -دراسة سيكوديناميكية حول تأثير القيم الروحية في تعزيز مسؤولية الشباب-

Training Strategies in Algerian Higher Schools: “From Volunteering to Active Citizenship: A Psychodynamic Study on the Impact of Spiritual Values in Enhancing Youth Responsibility,”

ط.د. حاتم خلدون المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية-دار القرآن –
جامع الجزائر.

hatem.khaldoun@gmail.com

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الإرسال:
2025/06/02	2025/03/28	2025/03/23

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الكيفية التي تحول بها القيم الروحية (كالدينية والأخلاقية) العمل التطوعي إلى ركيزة لبناء مواطنة فاعلة لدى الشباب، عبر تحليل التفاعل بين الدوافع النفسية العميقة (كالإحساس بالانتماء الروحي أو الرغبة في التقرب إلى الله) والواقع الاجتماعي، كما تعتمد على المنهج السيكوديناميكي لفهم الصراعات والآليات اللاواعية التي تدفع الشباب إلى تبني المسؤولية المجتمعية، مثل "التسامي" (تحويل الطاقة الروحية إلى فعل مجتمعي) و"الهوية المزدوجة" (الجمع بين البعد الروحي والهوية الوطنية)، كما تبحث في دور الخطاب الديني وتجارب التطوع في مؤسسات دينية في صياغة وعي الشباب بواجباتهم المدنية، وتقدم توصيات لدمج البعد الروحي في البرامج التطوعية والمناهج التعليمية، لتحويل التطوع من ممارسة فردية إلى استراتيجية مستدامة لتعزيز الانتماء الوطني والحلول المجتمعية.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية، المواطنة، القيم الروحية، التطوع

Abstract :

This study aims to explore how spiritual values (such as religious and ethical principles) transform volunteering into a foundation for building active citizenship among youth, by analyzing the interplay between deep psychological motivations (e.g., a sense of spiritual belonging or the desire to draw closer to God) and social realities. The study adopts a psychodynamic approach to understand the unconscious conflicts and mechanisms that drive youth to embrace societal responsibility, such as “sublimation” (channeling spiritual energy into community action) and “dual identity” (merging spiritual and national identity). It also examines the role of religious discourse and volunteering experiences within religious institutions in shaping youths’ awareness of their civic duties. Furthermore, the study provides recommendations for integrating the spiritual dimension into volunteer programs and educational curricula,

thereby transforming volunteering from an individual practice into a sustainable strategy for fostering national belonging and community-driven solutions.

Keywords: Social Responsibility, Citizenship, Spiritual Values, Volunteering...

المقدمة:

في ظل التحولات الاجتماعية المتسارعة، يبرز العمل التطوعي كوسيلة فعالة لمشاركة الشباب في تنمية مجتمعاتهم وتعزيز حس الانتماء والمسؤولية لديهم ومع ذلك، فإن هذا الانخراط غالبا ما يكون سطحيًا أو مرحليًا، حيث يقتصر على تقديم المساعدات المباشرة دون الانتقال إلى مستويات أعمق من المشاركة المجتمعية، وهنا تبرز إشكالية التحول من مجرد العمل التطوعي إلى المواطنة الفاعلة، التي تتطلب التزاما مستداما ورؤية استراتيجية للإصلاح الاجتماعي.

تعد القيم الروحية، المستمدة من التعاليم الدينية والمعتقدات الأخلاقية العميقة، أحد العوامل المحورية في تشكيل وعي الشباب بدورهم الاجتماعي، حيث تعمل على تحفيز سلوكهم وتعزيز إحساسهم بالمسؤولية الجماعية، فحين يركز العمل التطوعي على مبادئ مثل الإيثار، العدل، التضامن، والواجب الأخلاقي، يتحول إلى ممارسة مستدامة تدفع نحو المواطنة الفاعلة، التي تتجاوز الفعل الخيري إلى المشاركة في صنع القرار، الإصلاح المؤسسي، والتغيير المجتمعي المنظم.

ولفهم هذا التحول بشكل أعمق، تقدم النظرية السيكديناميكية (Psychodynamics) إطارا نظريا يفسر كيف تتشكل دوافع الأفراد وتتطور استجاباتهم النفسية والاجتماعية تجاه البيئة المحيطة، فمن خلال عمليات التقمص العاطفي، والتأثير الجماعي، وإعادة تشكيل الهوية الذاتية، يمكن تحليل كيف يؤدي التفاعل بين القيم الروحية والتجربة التطوعية إلى تعزيز الوعي بالمسؤولية المجتمعية، مما يمهد الطريق لظهور مواطنين فاعلين يساهمون بوعي واستدامة في النهوض بمجتمعاتهم.

بناء على ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل تأثير القيم الروحية في انتقال الشباب من مجرد العمل التطوعي إلى المواطنة الفاعلة، مع التركيز على دور السيكديناميكية في تفسير هذا التحول، وذلك من خلال استعراض الأطر النظرية ذات الصلة، وتحليل العوامل النفسية والاجتماعية التي تدفع الشباب نحو انخراط أعمق وأكثر استدامة في الحياة المدنية.

الإشكالية:

في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها العالم، أصبح العمل التطوعي وسيلة مهمة في تعزيز التضامن المجتمعي، لكنه في كثير من الأحيان يظل نشاطا فرديا غير مستدام، في المقابل، تتطلب المواطنة الفاعلة التزاما طويل الأمد ومسؤولية مستمرة تجاه المجتمع، وهنا يبرز التساؤل حول العوامل التي تساعد الشباب على الانتقال من مجرد ممارسة التطوع بشكل عابر إلى تحمل دور فاعل في بناء المجتمع.

من بين هذه العوامل، تحتل القيم الروحية (الدينية والأخلاقية) موقعا أساسيا، في تعزيز الشعور بالمسؤولية، وتحفز على التضحية والعطاء، وتوجه سلوك الأفراد نحو ممارسات أكثر استدامة في خدمة الصالح العام، وهو ما تحاول هذه المداخلة بلوغ مراميها من خلال الإجابة على التساؤل التالي:

كيف تؤثر القيم الروحية في تعزيز مسؤولية الشباب للانتقال من مجرد العمل التطوعي إلى المواطنة

الفاعلة؟

ويقترح عن السؤال الرئيس الذي يدور حوله موضوع البحث:

- 1 – ما مفهوم التطوع والمواطنة الفاعلة.
- 2 – ما مفهوم القيم الروحية وتأثيرها في سلوك الشباب
- 3 – ما هو منظور السيكديناميكية ودوره في تحليل السلوك الإنساني.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهمية بالغة نظراً للدور المتزايد الذي يلعبه العمل التطوعي في ترسيخ قيم المواطنة الفاعلة، حيث يعد التطوع أحد الوسائل الأساسية لتعزيز الوعي المجتمعي والمسؤولية الاجتماعية، مما يساهم في بناء مجتمع متماسك ومستدام.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحليل العلاقة بين القيم الروحية والعمل التطوعي والمواطنة الفاعلة، وبيان دور المنظور السيكوديناميكي في تفسير التحولات السلوكية التي تدفع الشباب للانتقال من التطوع إلى المشاركة المجتمعية المستدامة، وكذا استعراض الأطر النظرية ذات الصلة وتحليل العوامل النفسية والاجتماعية التي تدفع الشباب نحو انخراط أعمق وأكثر استدامة في الحياة المدنية.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي، حيث يتم وصف وتحليل تأثير القيم الروحية على انتقال الشباب من العمل التطوعي إلى المواطنة الفاعلة، كما يعتمد البحث على المنهج السيكوديناميكي لفهم التحولات النفسية التي تفسر هذا الانتقال، من خلال تحليل الدوافع الداخلية، التقمص العاطفي، وإعادة تشكيل الهوية الذاتية، مما يساهم في تقديم رؤية أعمق حول العلاقة بين القيم الروحية والتطور السلوكي للشباب في المجال التطوعي والمجتمعي.

المبحث الأول: مفهوم التطوع والمواطنة الفاعلة

1- تعريف العمل التطوعي وأبعاده الاجتماعية والنفسية.

تعريف العمل التطوعي

أ/ التطوع لغة: أصل اللفظة مأخوذ من الفعل طوع، وتعني الانقياد، يقال: طاع له، وأطاع يطوع طوعاً، فهو طائع؛ أي لان وانقاد وفي التنزيل العزيز قال الله تعالى: (فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) البقرة 184، (ابن منظور، 1993 ص 8/240)، فالمتطوع طوع نفسه وألینها ففعل من غير أن يُطلب منه؛ زيادة في الطاعة (محمد جبل، 1328).

ب/ اصطلاحاً: هو نشاط غير مدفوع يقوم به الأفراد أو الجماعات طواعية لخدمة المجتمع، بدافع أخلاقي أو اجتماعي أو ديني، دون توقع مكافآت مادية (Wilson, 2000, p. 215)، ويهدف إلى تقديم خدمات للمجتمع دون إلزام، حيث ينبع من رغبة ذاتية في المساهمة في تحسين الواقع الاجتماعي (عبدالله الخطيب، 2001).

ج/ التطوع شرعاً:

أعمال التطوع في الإسلام تطلق على كل تقرب إلى الله تعالى بما ليس بفرض من العبادات (الزحيلي، ج2، ص587) مأخوذة من قوله تعالى: (فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) البقرة 184. ويتضح من التعريف اللغوي والشرعي أن العمل التطوعي يتميز بالاختيارية، حيث يقدم عليه الفرد بإرادته الحرة، دون إجبار، كونه يرتبط في نظريته الأخروية برجاء ثواب الله عز وجل، حيث يسعى المتطوعون إلى نيل الأجر والمكافأة التي أعدها الله للمحسنين. فهو ليس مجرد خدمة دنيوية، بل عبادة وطاعة تعكس رغبة الفرد في تحقيق النفع للناس ابتغاء مرضاة الله، مما يعزز القيم الروحية والإحسان في المجتمع.

الأبعاد الاجتماعية للتطوع:

يساهم التطوع في تعزيز التماسك الاجتماعي، وتقوية الروابط بين الأفراد والجماعات، وتنمية الثقة المتبادلة، وتقليل الفوارق الاجتماعية (Putnam, 2000).

الأبعاد النفسية للتطوع: (Wilson, 2012)

يحقق التطوع فوائد نفسية عديدة للمتطوعين، مثل زيادة الشعور بالمعنى في الحياة، وتعزيز احترام الذات، وتنمية مهارات جديدة، وتقليل الشعور بالوحدة والعزلة.

ثانيا - مفهوم المواطنة الفاعلة وعلاقتها بالتطوع:

أ - **المواطنة:** مفهوم المواطنة من المفاهيم التي يدور حولها جدل كبير، لذا يصعب أن نجد لها تعريفا يرضى به كل المختصين في هذا المجال، وبالتالي يختلف مفهوم المواطنة تبعا للزاوية التي نتناوله منها، وتبعا لهوية من يتحدث عنها، وتبعا لما يراد بها.

والمواطنة في اللغة العربية منسوبة إلى الوطن، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، والجمع أوطان، ويقال وطن بالمكان وأوطن به أقام فيه، وأوطنه اتخذهُ وطناً، وأوطن فلان أرض كذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه. (ابن منظور، 2000، ص239)

كما تعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن". (الموسوعة، 1996، ص311) وتعرف دائرة المعارف البريطانية (Encyclopedia Britannica) المواطنة بأنها "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة".

أما التعريف الإسلامي للمواطنة:

فينطلق من خلال القواعد والأسس التي تنبني عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة وهما الوطن والمواطن وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي تعبير عن الصلة التي تربط بين المسلم كفرد بعناصر الأمة، وهي الأفراد المسلمين، والحاكم أو الإمام، وتُتوج هذه الصلات جميعاً الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة، وبين الأرض التي يقيمون عليها من جهة أخرى، وبمعنى آخر فإن المواطنة هي تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم. (هويدي، 1995، ص13).

ب- المواطنة الفاعلة

: هي "مجموعة الحقوق والواجبات التي تتيح للفرد المشاركة الواعية والمسؤولة في الحياة العامة، والتعبير عن آرائه، والمساهمة في صنع القرار، ومراقبة أداء المؤسسات الحكومية والأهلية" (المجذوب، 2010، ص17). وهي في جوهرها تعكس قيم الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي حض عليها الإسلام (الغزالي، 1997).

أهميتها في بناء المجتمع :

تساهم المواطنة الفاعلة في ترسيخ قيم الديمقراطية والعدالة والمساواة، وتحقيق التنمية المستدامة، وحماية حقوق الإنسان، ومواجهة التحديات المجتمعية، وتعزيز التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية. (Dalton, 2009)

ج - العلاقة بين التطوع والمواطنة الفاعلة:

يشكل التطوع حاضنة للمواطنة الفاعلة، حيث يوفر للشباب فرصاً للتعبير عن آرائهم، والمشاركة في صنع القرار، وتنمية وعيهم بقضايا المجتمع، واكتساب الخبرة العملية، وتطوير مهاراتهم القيادية والاجتماعية (Zaff et al., 2003).

يغذي التطوع قيم المواطنة الفاعلة، مثل المسؤولية الاجتماعية، والالتزام، والإحسان، والتكافل، والعطاء، مما يعزز من السلوكيات الإيجابية تجاه المجتمع (الخرندار، 2015).

ويعتبر العمل التطوعي من أبرز علامات المواطنة الصالحة والمسؤولة، فالمتطوع يبذل الجهد وينفق من ماله ووقته في سبيل تقديم خدمة عامة ليس له من ورائها أجر أو منفعة شخصية مما يدل على حبه لوطنه ومجتمعه، ومن شأن العمل المدني أو التطوعي كما يقول جعفر الشايب أنه يعزز من القيم المدنية المشتركة، ويقلص الانتماءات التقليدية التي قد تشكل عصبية تعيق تحقيق المواطنة، كما يمكن أن يشكل جسراً للتواصل بين مختلف أبناء الوطن ويفتح المجال أمام أعمال مشتركة في قضايا عامة وسامية، وينتج العمل التطوعي كذلك حالة من التفاعلية والمشاركة الشعبية العامة وبالتالي فإن الفاعلين فيه يكونون أكثر قدرة على تحمل المسؤولية في مختلف القضايا الوطنية. (أمنة، 2014)

المبحث الثاني: القيم الروحية وتأثيرها في سلوك الشباب.

1- تعريف القيم الروحية وأبعادها النفسية والاجتماعية

لغة: يقول ابن منظور إن " القيمة: واحدة القيم، أصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء.... ويقال: كم قامت ناقتك؟ أي كم بلغت (ابن منظور، 2003).
اصطلاحاً: هي "مجموعة المعاني والمعتقدات السامية التي تمنح الحياة هدفاً ومعنى، وتوجه سلوك الفرد نحو الخير والحق والجمال، وتتجاوز الاهتمامات المادية الضيقة" (بدوي، 1994، ص 125). وهي تشمل مفاهيم مثل الإيمان بالله، والإحسان، والتسامح، والعفو، والزهد، والتواضع (الرفاعي، 1985).

مفهوم القيم في الإسلام:

اعتنى السلام بموضوع القيم عناية عظيمة، حيث ارتبط تصور المفكرين والمربين المسلمين للقيم، بشمولية العلم والإيمان والمعرفة في الإسلام، وتأثيرها على التنشئة التربوية للإنسان، حيث أنتج هذا التصور " علم السلوك" الذي وظف من قبل علماء الإسلام، مثل الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين" الذي يوضح فيه خصائص الإيمان وسماته، وانعكاسه على السلوك؛ باعتبار أن الأحكام الشرعية هي المعيار الأساس ي والصحيح الذي يتم تحديده في ضوء السلوك السوي. (الجلاد، 2007، 53)
وعرّف الشحات القيم الإسلامية بأنها " :حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك (الشحات 20، 1998).

الأبعاد النفسية للقيم:

تساهم القيم الروحية في تحقيق السلام الداخلي، وتقوية الصلة بالله، وزيادة الشعور بالرضا والطمأنينة، وتنمية القدرة على مواجهة الصعاب والتحديات (يوسف، 2000).

الأبعاد الاجتماعية للقيم:

تعزز القيم الروحية التكافل الاجتماعي، والمحبة، والتسامح، والإيثار، والتعاون، والصدق، والأمانة، مما يقوي الروابط المجتمعية ويقلل من الصراعات والخلافات (السيد، 2007).

2 – كيفية تأثير القيم الروحية في سلوك الأفراد:

تلعب القيم الروحية دوراً جوهرياً في تشكيل سلوك الأفراد وتوجيه تصرفاتهم في المجتمع، وذلك من خلال التأثير على معتقداتهم، وأخلاقياتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، ويمكن تلخيص هذا التأثير في النقاط التالية:
توجيه السلوك: تعمل القيم الروحية كبوصلة داخلية توجه سلوك الفرد في مختلف المواقف، وتجعله يختار الأفعال التي تتسجم مع قيمه ومعتقداته (النابلسي، 2004).
تحفيز العمل: تمنح القيم الروحية الفرد دافعا قويا للعمل والإنجاز والإبداع، والسعي إلى تحقيق الأهداف النبيلة التي تخدم المجتمع والإنسانية (النجار، 1988).
مقاومة الإغراءات: تساعد القيم الروحية الفرد على مقاومة الإغراءات والمغريات المادية، والتمسك بالفضيلة والأخلاق الحميدة، وتجنب السلوكيات الضارة (الراوي، 2003).
التعامل مع الصعاب: تمنح القيم الروحية الفرد القدرة على مواجهة الصعاب والتحديات، والصبر عليها، والرضا بالقضاء والقدر، مما يزيد من ثباته الانفعالي وقدرته على التكيف (البوطي، 1996).

3- دور القيم الروحية في تعزيز المسؤولية الاجتماعية

تلعب القيم الروحية دوراً محورياً في تعزيز المسؤولية الاجتماعية، حيث تساهم في بناء مجتمع متماسك يقوم على مبادئ الأخلاق والتعاون والتكافل. من أبرز الجوانب التي تؤثر فيها القيم الروحية على المسؤولية الاجتماعية:
تنمية الوعي: تزيد القيم الروحية من وعي الفرد بمسؤولياته تجاه مجتمعه، وتجاه الفقراء والمحتاجين، وتجاه البيئة، وتجاه الأجيال القادمة (العلواني، 2005).
تحفيز العمل التطوعي: تدفع القيم الروحية الفرد إلى بذل الجهد والوقت والمال في خدمة الآخرين والمساهمة في حل مشكلات المجتمع، دون انتظار مقابل (القرضاوي، 2001).

تعزيز الرقابة الذاتية: تساعد القيم الروحية الفرد على محاسبة نفسه، ومراقبة سلوكه، وتجنب الأفعال التي تضر بالآخرين أو المجتمع (بن نبي، 1993).
التأكيد على البعد الأخلاقي: توجه القيم الروحية الفرد إلى اتخاذ قرارات أخلاقية في مختلف جوانب حياته، والالتزام بالقيم والمبادئ في تعامله مع الآخرين ومع المجتمع (الطنطاوي، 1998).

2- تأثير المعتقدات والقيم الروحية على السلوك التطوعي.

تلعب المعتقدات الدينية والقيم الروحية دوراً محورياً في تشكيل السلوك التطوعي للأفراد. فهي توفر إطاراً أخلاقياً ومعنوياً يشجع على العطاء والخدمة المجتمعية، وفي بعض الحالات، يمكن أن تفقد المعتقدات الدينية الأفراد إلى الانخراط في سلوكيات اجتماعية إيجابية، مثل العمل التطوعي أو العطاء الخيري، في محاولة لتحقيق إيمانهم، علاوة على ذلك، أظهرت الدراسات أن القيم الروحية يمكن أن تعزز الصحة النفسية للمتطوعين. ففي دراسة أجريت على المتطوعات داخل المسجد الحرام، تبين أن العمل التطوعي مرتبط بتحقيق عوائد نفسية واجتماعية، ويساهم في تنمية العطاء والبذل ونشر المحبة والسلام. (بن حصيني، 2023)
بالإضافة إلى ذلك، تؤثر القيم الروحية على السلوك الاجتماعي للفرد، حيث إنها تلعب دوراً في تعديل السلوك المنحرف وتعزيز السلوك الإيجابي. فالعلاقة بين القيم والدافعية تؤثر على السلوك الفردي والاجتماعي، مما يساهم في تمثيل القيم واستمرارها في جميع مناحي الحياة (أحلام ع، 2019).
تعتبر المعتقدات الدينية والقيم الروحية عوامل أساسية في تعزيز السلوك التطوعي، حيث توفر الدوافع الأخلاقية والنفسية التي تحفز الأفراد على المشاركة الفعالة في خدمة المجتمع ويمكن تفسير تأثيرها على السلوك التطوعي من خلال عدة آليات:

- الدافع الأخلاقي والروحي:

الأديان تعزز قيم العطاء والتكافل الاجتماعي، مما يدفع الأفراد للمشاركة في العمل التطوعي بدافع إرضاء الله أو تحقيق قيم الخير، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس). رواه الطبراني.
الشعور بالواجب الديني: في الإسلام، ينظر إلى العمل التطوعي كجزء من البر والإحسان، كما في قوله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة: 2)
تحقيق الهوية والانتماء:

المعتقدات الدينية توفر إطاراً لهوية الفرد، مما يعزز دافعيته للمشاركة في الأعمال الخيرية كوسيلة لتحقيق الانتماء الديني والاجتماعي (المنظور السيكوديناميكي).
الآثار النفسية والاجتماعية:

يزيد التطوع المستند إلى معتقدات روحية من الإحساس بالرضا الذاتي والارتباط بالمجتمع، وفق دراسات علم النفس الإيجابي وفي دراسة حول المتطوعات في المسجد الحرام، تبين أن التطوع يعزز الصحة النفسية ويقوي الروابط الاجتماعية (بن حصيني، 2023).

المعتقدات والقيم الروحية تعمل كمحركات قوية للعمل التطوعي، حيث تغرس في الأفراد الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، وتعزز الارتباط بالمجتمع، مما يجعل التطوع جزءاً من هويتهم وسلوكهم اليومي.

المبحث الثالث: المنظور السيكوديناميكي ودوره في تحليل السلوك الإنساني:

1- السيكوديناميكية ودورها في تحليل السلوك الإنساني:

تقدم النظرية السيكوديناميكية (Psychodynamics) إطاراً نظرياً يفسر كيف تتشكل دوافع الأفراد وتتطور استجاباتهم النفسية والاجتماعية تجاه البيئة المحيطة، فمن خلال عمليات النقص العاطفي، والتأثير الجماعي، وإعادة تشكيل الهوية الذاتية، يمكن تحليل كيف يؤدي التفاعل بين القيم الروحية والتجربة التطوعية إلى تعزيز الوعي بالمسؤولية المجتمعية، مما يمهد الطريق لظهور مواطنين فاعلين يساهمون بوعي واستدامة في النهوض بمجتمعاتهم.

تعريف النظرية السيكوديناميكية (التحليلية) :

تشكل نظرية التحليل النفسي الكلاسيكية السيكودينامية كما طورها " فرويد Freud " في أوائل القرن العشرين في فهم الاضطراب السلوكي، فقد أكد " فرويد Freud " على أن الاضطرابات السلوكية تنتج من القوى النفسية الداخلية (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)، فهذه القوى تتفاعل في تنفيذ الأنشطة العقلية الشعورية واللاشعورية، فالصراعات يجب أن يتم حلها بطريقة ناجحة في نطاق الوعي حتى لا تؤدي إلى اضطرابات السلوك، كما يجب أن يوفق الأنا بين نزعات الهو وضوابط الأنا الأعلى ومتطلبات الواقع الخارجي، أما إذا لم تحل الصراعات بطريقة ناجحة أو إذا لم تستطع الأنا التوفيق بين نزعات الهو وضوابط الأنا الأعلى والواقع الخارجي فكل هذا سوف يؤدي إلى اضطرابات السلوك (Bootzin & Joon, 1996, P.55).

وقد اقترح " فرويد Freud " عام (1905) أن عمليات تطور الشخصية تتم خلال سلسلة من مراحل النمو النفسي الجنسي، وأن التثبيت والنكوص إلى أحد المراحل يؤدي إلى الاضطراب السلوكي فعلى سبيل المثال لا الحصر اضطرابات الشخصية مثلاً ترجع إلى المراحل النفسية الجنسية المبكرة من النمو، فقد افترض " فرويد Freud " أن التدريب على أعمال النظافة يمكن أن يؤدي إلى تثبيت على المرحلة الشرجية، وإذا ما أصبح الشخص مثبتاً على هذه المرحلة، فإنه سوف يكون مقاوماً لتحقيق النمو الناضج للشخصية

وقد أكد " فرويد Freud " على تنشئة الفرد تنشئة سوية خلال الخمس السنوات الأولى لأن لها دوراً، فالصدمات النفسية التي يتعرض لها تجعله في حالة تثبيت بحيث لا يستطيع الفرد اجتياز مرحلة إلى المرحلة التي تليها الأمر الذي يظهر على شكل نكوص أو تراجع سلوكي يكون مسؤولاً عن وجود الاضطرابات السلوكية فيما بعد، كذلك " فرويد Freud " على صدمة الميلاد التي يعتبرها مصدر للقلق الذي يؤدي إلى الاضطرابات السلوكية على أساس أن الفرد قد فقد الأمن والطمأنينة عندما خرج من بطن أمه.

أما عالم النفس التحليلي التفاعلي "بيرن Berne" يرى بأن السلوك المضطرب ناتج عن طرق تنشئة الفرد الخاطئة المتمثلة في الممنوعات والحرمان العاطفي، وعدم تعامل الأفراد بالأنا الراشدة وتعاملهم بالأنا الطفولية، في حين تعتبر " هورني Horney " أن الثقافة لها دور في ظهور الاضطراب السلوكي.

أما "سوليفان Solivan" فقد اعتبر أن سبب الاضطراب السلوكي ناتج عن نقص في قدرة الفرد على إنشاء علاقات وتفاعلات ناجحة مع الآخرين (العزة، 2002، ص ص. 45-45).

3- دور التحليل السيكوديناميكي في فهم التزام الشباب تجاه مجتمعاتهم:

يظهر التحليل السيكوديناميكي أن التزام الشباب تجاه مجتمعاتهم يتأثر بعوامل نفسية عميقة، تشمل الدوافع اللاواعية، وآليات الدفاع النفسي، والصراعات الداخلية المتعلقة بالهوية، حيث تلعب التجارب الطفولية المبكرة دوراً حاسماً في تشكيل هذا الالتزام، حيث يعزز التعرض لنماذج إيجابية القيم المجتمعية، بينما قد تؤدي التجارب السلبية إلى ضعف الانتماء الاجتماعي. كما أن آليات مثل التماهي والتسامي تسهم في دمج الشباب في الأدوار المجتمعية الإيجابية، في حين أن التوتر بين الرغبات الفردية والتوقعات الاجتماعية قد يخلق تحديات تتطلب استراتيجيات دعم نفسي ومجتمعي لتعزيز مشاركتهم الفاعلة، كما يعد التحليل السيكوديناميكي أداة فعالة في فهم التزام الشباب تجاه مجتمعاتهم، حيث يركز على الدوافع اللاواعية والتجارب المبكرة التي تشكل سلوكيات الأفراد ومواقفهم الاجتماعية .

الدوافع اللاواعية والتطور النفسي :

وفقاً لنظريات التحليل النفسي، تلعب التجارب الطفولية دوراً محورياً في تشكيل شخصية الفرد ومواقفه الاجتماعية. فمثلاً، قد يؤدي التعرض لنماذج إيجابية في مرحلة الطفولة، مثل الوالدين أو المعلمين الذين يظهرون التزاماً قوياً تجاه المجتمع، إلى تعزيز قيم المسؤولية الاجتماعية لدى الشباب. على النقيض، قد تؤدي التجارب السلبية أو نقص الدعم العاطفي إلى تطوير مواقف أقل التزاماً تجاه المجتمع (فرويد، 1923).

آليات الدفاع النفسي:

تعدّ آليات الدفاع، مثل التماهي والتسامي، جوانب مهمة في التحليل السيكوديناميكي. قد يقوم الشباب بتبني قيم ومواقف مجتمعية من خلال التماهي مع شخصيات مؤثرة في حياتهم. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يؤدي التسامي إلى تحويل الدوافع الداخلية إلى أنشطة تطوعية أو مجتمعية، مما يعزز التزامهم تجاه مجتمعهم .

الصراعات الداخلية والهوية :

يساعد التحليل السيكوديناميكي في فهم كيفية تأثير الصراعات الداخلية، مثل التوتر بين الرغبات الشخصية والتوقعات المجتمعية، على التزام الشباب. قد يسعى الشباب إلى تحقيق التوازن بين تحقيق الذات وتلبية متطلبات المجتمع، مما يؤثر على مستوى التزامهم ومشاركتهم المجتمعية. (إريكسون، إريك 1968).

4- دراسات معززة للتحليل السيكوديناميكي لتأثير القيم الروحية على المواطنة:

- 1- تناولت دراسة "التعليم الروحي والقيم الأخلاقية لدى الشباب" التي أجريت من قبل سيندي سيب رينغما، جيناموني سايكيا، سامبريتي غوغوي، وبورشا نيوغ ونشرت في The Pharma Innovation Journal المجلد 12، العدد 12، 2023، أثر التعليم الروحي على مستوى القيم الأخلاقية لدى الشباب. شملت الدراسة 400 طالب جامعي تتراوح أعمارهم بين 20-23 سنة، مقسمين إلى مجموعتين 200 : طالب تلقوا تعليمًا روحياً في مؤسسات دينية في منطقتي Barpeta و Majuli، و 200 طالب لم يتلقوا أي تعليم روحي مؤسسي من منطقتي Jorhat و Kamrup metro. استخدمت الدراسة مقابلات مقننة لقياس مستوى القيم الأخلاقية، بالإضافة إلى الملاحظة البيئية للمشاركين في التعليم الروحي. وأظهرت النتائج أن الشباب الذين تلقوا تعليمًا روحياً امتلكوا مستويات أعلى من القيم الأخلاقية مثل الاحترام، ضبط النفس، التعاطف، الكرم، التسامح، التواضع، والعدالة، مقارنة بغيرهم. كما أكدت التحليلات الإحصائية باستخدام اختبار Z وقيمة Wilks' Lambda وجود فروقات جوهرية ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 بين المجموعتين، حيث انعكس التعليم الروحي إيجابياً على تشكيل القيم الأخلاقية لدى الشباب، مما عزز لديهم الانضباط الذاتي والوعي الاجتماعي. بناءً على ذلك، أوصت الدراسة بضرورة دمج التعليم الروحي في المناهج الأكاديمية لتعزيز القيم الأخلاقية بين الشباب والمساهمة في بناء مجتمع أكثر استقراراً وأخلاقية.

علاقتها مع التحليل السيكوديناميكي:

تتصل هذه الدراسة بالتحليل السيكوديناميكي من خلال دور التعليم الروحي في تشكيل البنية النفسية العميقة للشباب، حيث يساهم في تعزيز القيم الأخلاقية وتنظيم السلوكيات وفقاً لمفاهيم التحليل النفسي حول العلاقة بين اللاوعي والقيم الداخلية. كما أن الذكاء الروحي والانضباط الذاتي اللذين تناولتهما الدراسة يتماشيان مع فكرة التسامي (Sublimation) كآلية دفاعية متقدمة تساعد الأفراد في توجيه دوافعهم نحو أهداف إيجابية. بالإضافة إلى ذلك، يعكس تأثير التعليم الروحي على القيم الأخلاقية دور الأنا في ضبط التفاعلات بين الهو والأنا العليا، مما يعزز قدرة الشباب على مواجهة الضغوط والتكيف النفسي بشكل صحي، وهو ما يشكل جوهر التحليل السيكوديناميكي في فهم تطور الشخصية والسلوك.

- 2- تناولت الدراسة "الذكاء الروحي وعلاقته بالكفاءة الذاتية لدى طلبة جامعة الأنبار" بالعراق للباحث عمر خلف رشيد الشجيري، التي نشرت في مجلة العلوم النفسية - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سنة 2019 / المجلات الأكاديمية العراقية، المجلد 30، العدد 04، لأجل قياس مستوى الذكاء الروحي والكفاءة الذاتية لدى الطلبة، بالإضافة إلى دراسة العلاقة بينهما. اعتمد الباحث على عينة عشوائية مكونة من 200 طالب وطالبة من جامعة الأنبار، مستخدماً مقياس الذكاء الروحي الذي طوره Amram & Dryer وقام بتعريبه بشرى إسماعيل أحمد 2013، والذي يتضمن 45 بنداً موزعة على خمسة أبعاد : الوعي، النعمة، المعنى، التسامي، والحقيقة. كما استخدم الباحث مقياس الكفاءة الذاتية الذي طوره (1986) Jerusalem and Schwarzer وترجمه سامر جميل رضوان (1997). (بعد التأكد من صدق وثبات المقياسين، تم تطبيقهما على العينة، وتحليل البيانات باستخدام برنامج SPSS. كشفت النتائج أن طلبة جامعة الأنبار يمتلكون مستوى جيداً من الذكاء الروحي والكفاءة الذاتية، كما أظهرت علاقة ارتباطية إيجابية بين الذكاء الروحي والكفاءة الذاتية، مما يشير إلى أن ارتفاع مستوى الذكاء الروحي يرتبط بزيادة الكفاءة الذاتية لدى الطلبة. في ضوء هذه النتائج، قدم الباحث عدداً من التوصيات والمقترحات لتعزيز الذكاء الروحي والكفاءة الذاتية في البيئة الجامعية.

علاقتها مع التحليل السيكوديناميكي:

يمكن اعتبار هذه الدراسة تحليلًا حديثًا لكيفية تأثير العوامل الروحية على الصراعات النفسية الداخلية والتكيف النفسي، وهو ما يتماشى مع المفاهيم السيكوديناميكية حول التوازن النفسي وآليات الدفاع. بالتالي، يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في تحليل العلاقة بين البنية النفسية العميقة والتجارب الروحية ودورها في تحسين الأداء الذاتي للأفراد.

3- نُشرت دراسة "تأثير القيم على السلوك الاجتماعي في الوسط الجامعي" للباحث د. محمد بن حليم في مجلة Journal of Social and Human Science Studies، المجلد 10، العدد 2، الصادرة عن جامعة وهران بتاريخ 16 مارس 2021. تهدف الدراسة إلى تحليل دور القيم الاجتماعية في تشكيل السلوك الاجتماعي داخل الوسط الجامعي، باعتبار القيم معياراً حاسماً في توجيه قرارات الأفراد وأحكامهم، واستندت الدراسة إلى منهج تحليلي لدراسة تأثير التغيرات القيمية على أنماط التفاعل الاجتماعي والأهداف التعليمية الجامعية، حيث أكدت النتائج أن القيم، رغم ثباتها النسبي، تخضع لتغيرات اجتماعية تؤثر في سلوك الطلبة وتفاعلهم داخل المجتمع الجامعي، كما أشارت الدراسة إلى أن الوسط الجامعي يعد بيئة ديناميكية تشهد تحولات قيمية مستمرة، مما يؤثر على الاستقرار الاجتماعي وأنماط التفاعل بين الطلبة والأساتذة، وخلص الباحث إلى أن تغير القيم قد يؤدي إلى إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل الجامعة، مما يستدعي دراسات أعمق حول التغير القيمي وتأثيره على النسق الاجتماعي والتعليمي.

علاقتها مع التحليل السيكوديناميكي:

ترتبط هذه الدراسة بالتحليل السيكوديناميكي من خلال تأثير التغيرات القيمية على البناء النفسي والسلوك الاجتماعي للطلبة في الوسط الجامعي. وفقاً للتحليل السيكوديناميكي، تلعب القيم الداخلية دوراً محورياً في تشكيل الهوية والسلوك الفردي، حيث تتفاعل مع اللاوعي والصراعات النفسية التي يمر بها الأفراد أثناء تطوّرهم الاجتماعي، كما تشير الدراسة إلى أن القيم الجامعية ليست ثابتة، بل تتغير وفقاً للمتغيرات الاجتماعية، مما يعكس تأثير العوامل النفسية العميقة في عملية التكيف مع المجتمع. كما أن التحليل السيكوديناميكي يؤكد أن التغير القيمي يمكن أن يولد توتراً داخلياً لدى الأفراد، مما يؤدي إلى استخدام آليات دفاع نفسية مثل الإنكار أو التسامي للتكيف مع التغيرات، وتوضح الدراسة أن هذا التغير في القيم يؤثر على أنماط التفاعل الاجتماعي داخل الجامعة، مما يعكس ديناميكية العلاقة بين الهوية الفردية والجماعية وتأثير القيم في ضبط السلوك والتفاعل الاجتماعي، بناءً على ذلك، فإن هذه الدراسة تقدم رؤية تحليلية تتماشى مع المنظور السيكوديناميكي في تفسير كيف تؤثر القيم الاجتماعية في تشكيل الاستجابات النفسية والسلوكية للأفراد داخل البيئة الجامعية.

التحليل السيكوديناميكي من منظور إسلامي: (رؤية نقدية).

يرتبط التحليل السيكوديناميكي بالرؤية الإسلامية من خلال تفسير الصراعات النفسية ودوافع الإنسان الداخلية، حيث يعكس تقسيم فرويد للنفس (الهو، الأنا، الأنا الأعلى) مفاهيم إسلامية مثل النفس الأمارة بالسوء، النفس اللوامة، والنفس المطمئنة. في حين يركز التحليل النفسي الغربي على الصراعات اللاواعية، يقدم الإسلام منهجاً عملياً لتحقيق التوازن النفسي عبر العبادات والتزكية الذاتية، مثل الصلاة، الصيام، والذكر، التي تعمل كآليات روحية لضبط النفس وتحقيق الطمأنينة، كما أن آليات الدفاع النفسي في التحليل السيكوديناميكي، مثل التسامي والكبت والإنكار، تجد نظائرها في الإسلام من خلال الصبر، الرضا، والجهد النفسي وبذلك، يدمج الإسلام بين البعد النفسي والروحي، ليمنح الإنسان نهجاً متكاملاً للارتقاء النفسي والسلوكي.

الخاتمة:

يتضح من التحليل السيكوديناميكي أن التزام الشباب تجاه مجتمعاتهم ليس مجرد عملية واعية أو استجابة عقلانية للقيم المجتمعية، بل هو نتاج تفاعل معقد بين العوامل النفسية اللاواعية، والتنشئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية، فالتجارب المبكرة تلعب دوراً حاسماً في تشكيل اتجاهات الشباب نحو المسؤولية الاجتماعية، حيث تؤثر آليات الدفاع النفسي، مثل التماهي مع الشخصيات المؤثرة والتسامي، على كيفية توجيه الفرد لدوافعه الداخلية نحو

خدمة المجتمع ، كما أن المعتقدات والقيم الروحية تسهم في خلق إحساس عميق بالالتزام الأخلاقي، مما يعزز الدافعية الذاتية للانخراط في الأنشطة التطوعية.

ورغم أن الشباب يواجهون صراعات داخلية بين الرغبة في تحقيق الذات ومتطلبات المجتمع، إلا أن تجاوز هذه التحديات يتم من خلال بناء هوية متماسكة تستند إلى القيم المجتمعية والتجارب الإيجابية. فكلما توفر للشباب بيئة داعمة تتضمن نماذج إيجابية، وتشجيعًا على العطاء، وإحساسًا بالانتماء المجتمعي، زاد التزامهم تجاه قضايا مجتمعهم

المقترحات الاستنتاجية لتعزيز التزام الشباب:

1- تعزيز التربية على القيم المجتمعية منذ الطفولة:

- إدماج برامج تعليمية تركز على أهمية التطوع والمسؤولية الاجتماعية، وربطها بالنماذج التاريخية والروحية الملهمة.

- تشجيع الأسر على غرس روح العطاء والمشاركة عبر إشراك الأطفال في مبادرات مجتمعية.

2- توفير نماذج إيجابية وإطار نفسي داعم:

دعم الشخصيات القيادية الشابة في المجتمع، حيث يساهم التماهي معهم في تحفيز الآخرين على الالتزام بالقيم التطوعية.

تقديم برامج إرشادية نفسية تتيح للشباب التعرف على طرق التعامل مع الصراعات الداخلية وتعزيز شعورهم بالمسؤولية المجتمعية.

3- تحفيز المؤسسات الدينية والمجتمعية على لعب دور أكبر:

- تطوير برامج تشاركية بين المؤسسات الدينية والتعليمية لتوجيه المعتقدات الروحية نحو أفعال اجتماعية ملموسة.

- تشجيع مبادرات العمل الخيري والتطوعي ضمن إطار ديني وأخلاقي يعزز الدافعية لدى الشباب.

4- دمج التحليل النفسي في استراتيجيات التنمية الاجتماعية:

- استخدام مفاهيم التحليل السيكونديناميكي في تصميم سياسات شبابية تأخذ بعين الاعتبار العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر على سلوكهم.

- تعزيز البحث العلمي في مجال العلاقة بين التنشئة الاجتماعية، والصحة النفسية، والالتزام المجتمعي، بما يساهم في بناء استراتيجيات طويلة المدى.

إجمالاً، يتطلب تعزيز التزام الشباب بمجتمعاتهم مقاربة شمولية تجمع بين العوامل النفسية، والتربوية، والدينية، والاجتماعية، حيث لا يكفي تقديم الدعوات المباشرة للمشاركة، بل يجب فهم الدوافع العميقة التي تحرك الأفراد وتحفيزها بطرق منهجية. ومن خلال تبني سياسات قائمة على فهم الدوافع اللاواعية، وتوفير بيئات محفزة، وتعزيز القيم الروحية والمجتمعية، يمكن تحقيق مشاركة شبابية أكثر استدامة، تساهم في تنمية المجتمع وتعزيز التماسك الاجتماعي.

قائمة المراجع:

- أحمد زايد، المجتمع المدني والعمل التطوعي، دار الفكر، 2018.
- محمد سليم العوا، القيم الروحية والمجتمع، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015.
- إبراهيم الفقي، قوة القيم الروحية، دار الراية، 2012.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد: السابع، دار الحديث، القاهرة ط الأولى، 2003 ص 547.
- محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي في المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، طبعة مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة 2010 (م).
- الخرندار، عبد الناصر، طبعة 2015. العمل التطوعي في فلسطين: واقعه وآفاقه . مركز بيسان للبحوث والإنماء.

- الغزالي، محمد، طبعة 1997، خلق المسلم. دار الكتاب العربي.
- بدوي، عبد الرحمان، طبعة 1994، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- بن نبي، مالك، طبعة 1993، شروط النهضة. دار الفكر المعاصر.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، طبعة 1996 ، دار الفكر.
- القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ط 2007، مكتبة وهبة للطباعة والنشر.
- الراوي، م(2003)الأخلاق الإسلامية وأثرها في المجتمع. دار طيبة.
- الرفاعي، عبد الرزاق (1997). معجم المصطلحات الصوفية. دار الغرب الإسلامي.
- السيد، ع. (2007). علم الاجتماع الديني. دار المعرفة الجامعية.
- الطنطاوي، علي، 1998. الإسلام دين الفطرة. دار الفكر.
- النجار، ع. (1988). مفهوم العمل في الإسلام. دار الدعوة.
- العلواني، ط. (2005). أزمة الفكر الإسلامي المعاصر. دار السلام.
- الزحيلي، وهبة ، 1991، الفقه الإسلامي وادلتها، الجزائر، دار الفكر.
- أثر القيم الروحية محمد يوسف موسى، القيم الروحية وتأثيرها على المجتمعات المهنية شبكشي رضوان، مقال في جريدة عكاظ، الاثنين 09 فيفري 2009 م.
- أمنة بنت أحمد الزير مشاعل بنت فهد المقبل، العمل التطوعي وقيم المواطنة لدى الشباب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض 1436 هـ. عبر الرابط: <http://jo.edu.yu.pbc://http> بتاريخ الزيارة يوم 2025/03/16 على الساعة 02:01.
- وردة بنت محجي بن حصيني، العمل التطوعي وعلاقته بالصحة النفسية للمتطوعات داخل المسجد الحرام – دراسة مقدمة لإستكمال متطلبات الماجستير في علم النفس – (تخصص إرشاد نفسي) ، جامعة الطائف ، كلية الآداب قسم علم النفس ، المجلة العربية للنشر العلمي ، 2023
- الجلاد، ماجد، 2007، تعلم القيم وتعليمها ط2 ، (عمان: دار المسيرة).
- الشحات، أحمد، 1988 الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، (القاهرة: دار الفكر العربي).
- أحلام عتيق مغلي السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، جامعة جدة، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، 2019.
- فرويد، سيغموند. 1923. الأنا والهو. في الأعمال الكاملة لسيغموند فرويد .
- إريكسون، إريك. 1968. (الهوية وأزمة الشباب. نيويورك: نورتون.
- Robert Putnam, Bowling Alone : The Collapse and Revival of American Community, 2000.
- Emile Durkheim, the Elementary Forms of Religious Life, 1912.
- Zaff, J. F., Youniss, J., & Flanagan, C. A. (2003). Civic engagement and citizenship: Toward a framework for positive youth development. Handbook of positive psychology, 595-616...